

لِيَعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ» [النور: ٣١]، «فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرْضٌ» [الأحزاب: ٣٢]، قوله: «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ» [الجمعة: ٩]. وقد ورد بعض آيات تدل على هذا الأصل الكبير؛ فالامور المباحة هي بحسب ما يتوصل بها إليه، إن توسل بها إلى فعل واجب أو مسنون كانت مأمورةً بها، وإن توسل بها إلى فعل محرم أو ترك واجب كانت محرمة منهاً عنها، وإنما الأعمال بالنيات الابتداية والغائية، والله الموفق.

### التقليق

الأمثلة واضحة: «وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ»، الأصل في سب آلهة المشركين الإباحة، بل قد يجب، فإذا كان يؤدي إلى سب الله عز وجل، وهو منزه عن ذلك جل وعلا - بخلاف آلهتهم - كان محرماً.

والضرب بالرجل، الأصل فيه الإباحة، فإذا كانت المرأة تضرب برجلها ليعلم ما تخفي من زينتها؛ صار حراماً. فلا يجوز للمرأة أن تبدي شيئاً من حلتها؛ لأنه قال: «وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيَعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ»، مع أنها تعلم ولا ثري. فكيف إذا لبست المرأة حلية جذابة، في ذراعيها، أو في ساقيها، وأخرجت ذلك للناس! فإنه يكون أشد تحريمًا.

ثالثاً: «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ»، والأصل في البيع والشراء أنه حلال مباح، فإذا كان يؤدي إلى ترك واجب، وهو صلاة الجمعة؛ كان

حراماً، فعقد البيع باطل؛ لأنه منهي عنه بخصوصه بعد الأذان الثاني، الذي عند مجيء الإمام لصلاة الجمعة؛ لأنه هو المعروف المعهود عند نزول الآية، فتحمل الآية عليه، وهل يبطل سائر العقود كالنكاح؟

يقول بعض العلماء: إنه لا يبطل؛ لأنه ليس بيعاً، والله جل وعلا إنما نهى عن البيع. ولكن قال بعض العلماء: إنما نهى عن البيع؛ لأنه هو الأكثر والمعتاد، وأنه هو السبب الذي جعل الصحابة يخرجون من عند الرسول ﷺ ليتلقو هذه التجارة، فيكون ذكر البيع ليس من باب التخصيص، ولكن من باب ذكر الغالب، وأن كل ما ألهى عن ذكر الله، وعن حضور الصلاة، فإنه يقع باطلاً.

وقد يتراجع القول الأول، وهو التخصيص بالبيع؛ لأنه هو الذي قد يرِد غالباً، لو أنك فكرت في معاملات الناس لوجدت البيع يقع كثيراً في هذا الوقت، وعقد النكاح قليل نادر، وإن فربما يكون الانشغال بعقد النكاح أشد من الانشغال بالبيع. وعلى كل حال الأمر فيه سعة؛ نقول: بدل أن يعقد في هذا الوقت فليؤخر، والمشهور من المذهب عند الحنابلة: يصح النكاح وسائر العقود ما عدا البيع وما في معناه؛ كالإجارة. أما النكاح وبقية العقود، فتصح. وعللوا ذلك بأنها نادرة، والنادر لا حكم له، وفيه وجه آخر في المذهب: أن النكاح وسائر العقود لا تصح؛ لأن العلة الموجودة في النهي عن البيع، موجودة في هذه العقود.



القاعدة السادسة والستون:

من قواعد القرآن أنه يستدل بالأقوال والأفعال  
على ما صدرت عنه من الأخلاق والصفات.

وهذه قاعدة جليلة، فإن أكثر الناس يقصر نظره على نفس اللفظ الدال على ذلك القول أو الفعل من دون أن يفكر في أصله وقاعدته التي أوجبت صدور ذلك الفعل والقول، والفطن الليبي ينظر إلى الأمرين، ويعرف أن هذا لهذا، وهذا ملازم لهذا، وقد تقدم ما يقارب هذا المعنى الجليل؛ ولكن لشدة الحاجة إليه أوردناه على أسلوب آخر؛ فمن ذلك قوله عن عباد الرحمن أنهم **﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُنَّا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَّمًا﴾** [الفرقان: ٦٣]، وذلك صادر عن وقارهم، وسكنيتهم، وخشوعهم، وعن حلمهم الواسع، وخلقهم الكامل، وتزبيتهم لأنفسهم عن مقابلة الجاهلين.

ومثل قوله: **﴿وَحِسْرَ لِشَيْئَنَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ وَالظَّبَابِ فَهُمْ يُؤَذَّنُونَ﴾** [النمل: ١٧]، يدل مع ذلك على حسن إدارة الملك، وكمال السياسة، وحسن النظام...

التعليق

يعني: كل في عمله الخاص، وهذا لا شك دليل على حسن إدارة الملك؛ لأننا لو جعلنا الأعمال كلها عند طائفة واحدة، أو عند شخص واحد؛ لأنها أعندها، وعجز عن تدبير الملك، فإذا

وزعت، وقال: هذا على المال، وهذا على السياسة، وهذا على كذا، فهو خير.



... قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا الْغَوَّ أَغْرَضُوا عَنْهُ وَقَاتُلُوا لَنَا أَعْمَلَنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا يَنْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، يدل على حُسن الخُلق، ونِزَاهَةِ النَّفْسِ عَنِ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَعَلَى سُعَةِ عُقُولِهِمْ، وَقُوَّةِ حُلْمِهِمْ وَاحْتِمَالِهِمْ. وَمِثْلُ الْإِخْبَارِ عَنِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ بِتَقْتِيلِ أَوْلَادِهِمْ خَشْيَةَ الْفَقْرِ، أَوْ مِنِ الْإِمْلَاقِ؛ يَدْلُلُ عَلَى شَدَّةِ هَلْعَمِهِمْ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِرَبِّهِمْ، وَعَدَمِ ثُقَّتِهِمْ بِكَفَائِيَّتِهِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ عَنِ أَعْدَاءِ رَسُولِهِ: ﴿وَقَاتُلُوا إِن تَنْتَعِ الْهُدَى مَعَكَ تُنَخَّطَفُ مِنْ أَرْضَنَا﴾ [القصص: ٥٧]؛ يَدْلُلُ عَلَى سُوءِ ظَنِّهِمْ بِاللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُ دِيْنَهُ، وَلَا يَتَمَكَّنُ كَلْمَتَهُ. وَأَمْثَالُهُ هُنَّ الْأَصْلُ كَثِيرَةٌ وَاضْحِيَّةٌ لِكُلِّ صَاحِبِ فَكْرَةٍ حَسَنَةٍ.

### التعليق

معنى هذه القاعدة: أن الأفعال والأقوال إذا صدرت من شخص استدل بها على حاله، كمالاً كان أو نقصاً. فإذا وجدنا هذا الرجل، - مثلاً - متأنياً في أمره، متذمراً لما يقول وما يفعل، استدللنا بذلك على كمال عقله، ووفور ذهنه. وإذا رأينا الأمر بالعكس، استدللنا على سوء عقله وتدبره؛ فيستدل بالأثار على المؤثر. هذا هو الخلاصة: آثار الشيء يستدل بها على مؤثرها.



القاعدة السابعة والستون:

يرشد القرآن إلى الرجوع إلى الأمر المعلوم المحقق  
عند ورود الشبهات والتوهمات.

وهذه قاعدة جليلة يعبر عنها: «أن المohoم لا يدفع المعلوم، وأن المجهول لا يعارض المتيقن» ونحوها من العبارات. وقد أرشد الله إليها في مواضع كثيرة لما أخبر تعالى عن الراسخين في العلم، وأن طريقتهم في المشتبهات؛ أنهم يقولون: ﴿ءَامَّنَا بِهِ، كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فالأمور المحكمة المعلومة يتبعن أن يرجع إليها الأمور المشتبهة المظنونة. وقال تعالى في زجر المؤمنين عن القدح في إخوانهم المؤمنين: ﴿تَوَلَّ إِذَا سَعَيْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرٌ وَقَاتَلُوا هَذَا إِفْكٌ شَيْئٌ﴾ [النور: ١٢]، فأمرهم بالرجوع إلى ما علم من إيمان المؤمنين الذي يدفع السينيات، وأن يعتبروا هذا الأصل المعلوم، ولا يعتبروا كلام من تكلم مما ينافقه ويقلد فيه. وقال تعالى: ﴿يَتَآتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَاتَلُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهَاتِهِ﴾ [الأحزاب: ٦٩]، فوجاهته عند الله تدفع عنه وتبرئه من كل عيب ونقص قاله فيه من آذاه؛ لأنه لا يكون وجيهًا عند ربه حتى يسلم من جميع المنقصات، ويتحلى بجميع الكلمات اللائقة بأمثاله من أولي العزم، فيحذر الله هذه الأمة أن يسلكوا مسلك من آذى موسى مع وجاهته، فيؤذوا أعظم الرسل جاهًا عند الله، وأرفعهم مقاماً ودرجة. وقال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]، ﴿وَرَبِّي الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [سبأ: ٦].

## القاعدة الثامنة والستون:

**ذِكْرُ الْأَوْصَافِ الْمُتَقَابِلَاتِ يَغْنِي عَنِ التَّصْرِيفِ  
بِالْمُفَاضَلَةِ إِذَا كَانَ الْفَرْقُ مَعْلُومًا.**

وهذه القاعدة في القرآن كثير، يذكرها في المقامات المهمة؛ كال مقابلة بين الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، وبين إلهيته الحق وإلهية ما سواه، فيذكر تبادل الأوصاف التي يعرف العقلاء بالبداهة التفاوت بينها، ويدع التصريف بالمفاضلة إلى العقلاء، قال تعالى: ﴿أَتَرَبَّثُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أُمَّ اللَّهِ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، ﴿أَمَّ اللَّهُ خَيْرٌ  
أَمَا يُشْرِكُونَ ﴾٦٩﴿ أَمْنَنَ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والأيات التي بعدها  
[النمل: ٥٩ - ٦٠]، ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءٌ مُسْتَكْسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا  
إِنَّمَا يَرْجُلُ هُلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩]، ﴿مَثُلُّ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَغْنَى وَالْأَصْنَى  
وَالْبَصِيرُ وَالسَّمِيعُ هُلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [هود: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿أَنَّمُّ أَعْلَمُ  
أُمِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ﴿قُلْ مَالَهُ أَذْنَكُ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفَرَّوْنَ﴾  
[يونس: ٥٩]، ﴿قُلْ هُلْ يَسْتَوِيَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]  
وقال مثلها: ﴿أَمَنَ هُوَ فَنِيتُ إِنَّهُ أَتَيْلٌ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا  
رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]، فهذا الموضع ترك القسم الآخر كما ترك  
التصريف بالمفاضلة لعلمه من المقام؛ فقوله: ﴿أَمَنَ هُوَ فَنِيتُ إِنَّهُ  
أَتَيْلٌ﴾ [الزمر: ٩] إلى آخرها، يعني: كمن ليس كذلك. والآيات في هذا  
المعنى كثيرة، وهو من بلاغة القرآن وأسلوبه العجيب؛ ك قوله: ﴿أَفَنَّ  
يَمْشِي مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَنَ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]

ولما ذكر أوصاف الرسول الداعي، وما يدعوه إليه، وأعظم الناس معارضه له؛ قال: ﴿وَلَا أَرَى لِيَأْكُمْ لَعَلَّ هُنَّ أُولَئِكَ الظَّالِمُونَ﴾ [سبأ: ٢٤]، ﴿فَسَبَّبُرُ وَيَصِرُونَ ۝ يَا يَأْتِكُمُ الْمَقْتُونُ﴾ [القلم: ٥ - ٦]، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيْرِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ زَيْنَكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكُفِرْ﴾ [الكهف: ٢٩]؛ وذلك أنه إذا ميّزت الأشياء تميّزاً تماماً، وعرفت مراتبها في الخير والشر، والكمال والنقص؛ صار التصریح بعد ذلك بالتفضیل لا معنى له، والله أعلم.

### التعليق

السؤال عن الشيء المعلوم لا حاجة إلى أن يجاب عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا مَا يُشْرِكُونَ﴾، معلوم أن الله خير! ﴿إِنَّمَا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَآتَىٰكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَا مَأْتَىٰ بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠] إلى آخره. وهكذا، فالشيء المعلوم لو ذكر؛ لكان الكلام فيه لغوياً لافائدة منه. ﴿إِنَّمَا هُوَ فَيْنِتُ عَائِدَةً أَيْلَى سَلِيمًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾، يعني: كمن هو غافل، لا يقنت في الليل ولا في النهار، على الوصف الذي ذكره الله تعالى. وهكذا، فإن الشيء المعلوم يعني عنه ذكر ما يقابل له مما هو معلوم أنه خير أو شر.



## القاعدة التاسعة والستون:

من ترك شيئاً لله عَوْضه الله خيراً منه.

وهذه القاعدة وردت في القرآن في موضع كثيرة:

فمنها: ما ذكره الله عن المهاجرين الأولين الذين هجروا أوطانهم وأموالهم وأحبابهم له، فعوّضهم الله الرزق الواسع في الدنيا، والعزّ والتمكين. وإبراهيم عليه السلام لما اعزّل قومه وأباءه، وما يدعون من دون الله، وهب له إسحاق ويعقوب، والذرية الصالحةين. وسليمان عليه السلام لما ألهته الخيل عن ذكر ربها فأتلفها عوّضه الله: ﴿أَرَيْتَ  
مَجْرِيٍّ يُأْمِرُونَ﴾ [ص: ٣٦]، ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَرَّاً صَرَّاً﴾ [ص: ٣٧].

وأهل الكهف لما اعزّلوا قومهم وما يبعدون من دون الله وهب لهم من رحمته، وهبّا لهم أسباب التوفيق والراحة، وجعلهم هداية للضالّين.

﴿وَالَّتِي أَخْصَنَتْ فَرَجَّهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا  
وَأَنَّهَا آيَةً لِلْعَنَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، ومن ترك ما تهواه نفسه من الشهوات لله تعالى؛ عوّضه من محبته وعبادته والإنابة إليه ما يفوق جميع لذات الدنيا.

## التعليق

هذا شيء مشاهد؛ أن الإنسان إذا ترك محارم الله عز وجل، خوفاً منه سبحانه وتعالى، ورغبةً فيما عنده من الثواب، فإنه يجد في

قلبه لذةً وحلوة، وحباً للخير، لا يمكن أن يوصف. وإذا انغمس الإنسان في شهواته، وفي لهوه وغفلته؛ صارت هذه الشهوات، والغفلة، والله، حسرةً عليه، وتتجده يكون منقبضاً، إذا فارق هذه الشهوات طرفة عين.

إبراهيم عليه السلام، لما استسلم لذبح ابنه، وهو أحب شيء إلى الدنيا، ورَأَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا الخلة، فاتخذه خليلاً.

وقال تعالى عن سليمان عليه السلام: «فَكَفَقَ مَسْحًا بِالْسُّوقِ وَالْأَغْنَاقِ» [ص: ٣٣]. قال العلماء والمفسرون من السلف: معناه: أنه صار يضرب رقابها وأرجلها. السوق: جمع ساق، والأعناق واضحة؛ وذلك أنه غضب الله عز وجل، على نفسه، وحرم نفسه هذا الأمر الذي ألهته به عن طاعة الله سبحانه وتعالى.

وإتلاف المال للمصلحة جائز، مثاله: إتلاف المال للنكارة، فالغال من الغنيمة يحرق رحله! ولا يجعل مع الغنيمة؛ لأنَّه أنكى. وإنما لقلنا: كل العقوبة بالمال تنسخ! ولكن نقول: ما يترب على إتلافه من المصالح أكثر من كونه مالاً.

ولكن هل من المشروع لنا إذا ألهانا شيء عن ذكر الله أن نتلفه؟ نعم، لا مانع أن نتلفه لأجل تعزير النفس وردعها، حتى لو كان هذا الشيء من بهيمة الأنعام؛ لأنَّ ضررها عليك.

والزوجة إذا ألهته عن الصلاة هل يشرع أن يطلقها؟ ينظر في هذا؛ وإنما، لا شك أنها إذا ألهته عن طاعة الله، أن هذا من شرم المرأة، أن تكون سبباً لإلهاء الإنسان عن طاعة الله، قال تعالى: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ

**فَلَا حَذْرَ لِهِمْ** [التغابن: ١٤]، فيبَيِّنُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَنَّ مَنْ أَزْوَاجَنَا مَنْ يَكُونُ عَدُوًّا لَنَا، وَيَحْذِرُنَا مِنْ ذَلِكَ. وَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ، تَجِدُ بَعْضُ النِّسَاءِ تَطْلُبُ مِنْ زَوْجِهَا أَنْ يَذْهَبَ بِهَا إِلَى السَّينِمَا، وَأَنْ يَسَافِرَ بِهَا إِلَى الْخَارِجِ، وَأَنْ يَمْكُنَّهَا مِنْ رَؤْيَاةِ النِّسَاءِ الْكَاسِيَاتِ الْعَارِيَاتِ، وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ. وَبَعْضُ النِّسَاءِ - وَالْعِيَادُ بِاللهِ - لَيْسَ لَهُ إِلَّا الشَّهْوَةُ فَقَطُّ، فَهَذِهِ الْمَرْأَةُ مَحْلُ شَهْوَتِهِ، لَا يَهْمِهُ أَنْ يَأْتِي بِكُلِّ مَا تَرِيدُ، فَيَبْطِلُ رَجُولَتَهُ عِنْدَ وُجُودِ شَهْوَتِهِ.



القاعدة السابعة:

القرآن كفيل بمقاومة جميع المفسدين،  
ولا يعصم من جميع الشرور إلا التمسك بأصوله وفروعه.

قد تقدم من الأدلة على هذا الأصل الكبير في دعوة القرآن إلى الإصلاح والصلاح، وفي طريقة في مواجهة أهل الباطل، وفي سياساته الداخلية والخارجية؛ ما يدلّ على هذا الأصل، ويُعرّف الخلق أن العصمة من الشرور كلها التمسك بهذا القرآن، وأصوله، وعقائده، وأخلاقه، وأدابه، وأعماله؛ ولكن نزيد هنا بعض التفصيات، فنقول:  
أهل الشر والفساد نوعان:

أحدهما: المبطلون في عقائدهم، وأديانهم، ومذاهبهم، الذين يدعون إليها؛ ففي القرآن من الاحتجاج على هؤلاء، وإقامة الحجج والبراهين على فساد أقوالهم شيءٌ كثير، لا يأتي مبطل بقول إلا في القرآن بيشه بالحق الواضح، والبرهان الجلي؛ ففيه الرد على جميع المبطلين من الدهريين، والماديين، والمعطلين، والمرشكين، والمتمسكين بالأديان المبدلة والمنسوخة من اليهود، والنصارى، والأميين، **﴿وَلَا يَأْتُونَكَ إِلَّا جِئْنَاهُ بِالْحَقِّ وَأَحَسَنَ تَفْسِيرًا﴾** [الفرقان: ٢٣]، يذكر الله حجج هؤلاء وينقضها، ويبدي من الأساليب المتنوعة في إفسادها ما هو معروف، وتفصيل هذه الجملة لا يحتمله هذا الموضوع.

النوع الثاني من المقاومين للأديان، والدنيا، والسياسات، والحقوق: الشيوعيون الذين انتشر شرّهم، وتفاقم أمرهم، وسرّت دعايتهم في طبقات الخلق سريان النار في العشب الهشيم، ولم يكن عند الأكثرين ما يرده صولتهم، ويقمع شرّهم، وإنما عندهم من الأصول، والعقائد، والأخلاق والسياسات ما يمكن أمثال هؤلاء الذين هم فساد العباد والبلاد، ولكن - والله الحمد - القرآن العظيم، والدين القوي، قد تكفل بمقاومة هؤلاء كما تكفل بمقاومة غيرهم، وفيه من الأصول والأخلاق والأداب الراقية ما يردهم على أعقابهم منهزمين؛ مما فيه من العدل، ووجوب الحقوق العادلة بين طبقات الناس بحسب أحوالهم، وما فيه من إيجاب الزكاة، والإلزام بها، ودفع حاجات الفقراء والمضطربين، ووجوب القيام بالمصالح الكلية والجزئية، ووجوب حفظ الأموال والحقوق؛ كل هذا أعظم سداً وأحكم حصن، للوقاية من شرور هؤلاء المفسدين، وكذلك ما حضر عليه القرآن من لزوم الآداب العالية، والأخلاق السامية، والأخوة الدينية، والرابطة الإسلامية يمنع من تغلغل شرورهم التي طريقها الأقوم تحليل الأخلاق، وانحلال الآداب، وتحلل الروابط النافعة، والثورة العامة على الرأسماليين الذين يجمعون ويعملون؛ فهو لاء وإن أبدوا من القوة المادية، والسلط على العباد بالقهر، والاستعباد، والطمع، والجشع، فإنهم لا ثبوت لهم على مقاومة هذا التيار المزعج، المخرب، المدمر ما مرّ عليه؛ مما معهم سلاح يقاوم سلاحهم، ولا قوة تجاهه قوتهم؛ لكنهم لم يتمسّكوا بالقرآن الذي فيه العصمة والقوة المعنوية، والصلاح والإصلاح، والعدل، ودفع الظلم، والأداب والأخلاق العالية التي لا تزعزعها عواصف الخراب؛

بل تُقذف بالحق على الباطل، فتدمعه فإذا هو زاهق، فإذا جاء هؤلاء المفسدين بالتعطيل المحسن، والإإنكار الصرف أبدى القرآن من الحجج والبراهين على وجود الله، وعظمته، وتوحيده، وصدقه وصدق من جاء به ما تتصدّع له الجبال، وتخضع له فحول الرجال، وإذا تسرّب هؤلاء الأشرار بتوسيط الأخلاق الرذيلة، وانحلال الآداب الجميلة، ووجدوا مسلكاً في هذا الطريق يعينهم على تنفيذ باطلهم؛ جاءهم هذا القرآن بالحث على الأخلاق العالية، والأعمال الصالحة، والآداب الجميلة، التي لا تدع للشر على صاحبها سبيلاً. وإذا صالحوا بالفقر والفقراء ووجوب المساواة، واحتجوا على أرباب الأموال بالاحتياط والسيطرة، واستعبادهم للعباد، واستبدادهم بالأملاك والأموال، ولم يجد هؤلاء قوة عليهم، وليس بهم طاقة بوجه من الوجه؛ تصدّى هذا القرآن العظيم بعدله وقسطه، وإيجابه الحقوق المتنوعة - الدافعة للحجاجات كلها بعد قيامها بالضرورات - لصدهم، ومقاومتهم، وإبطال كل ما به يصلون ويجهلون. ثم إذا بَرَزَ بصلاحه وإصلاحه العظيم، ونظامه الحكيم، وهديه القويم، وحثّه على سلوك الصراط المستقيم، ونوره الساطع، وحججه القواطع؛ لم يبق في وجهه باطل إلا محقق، ولا شرّ إلا سحقه، ولا بقي من قَضَدُه الحق والصواب إلا اختاره واعتنقه، ولا تأمله صاحب عقل ورأي إلا خضع له، فهو الحصن الحصين من جميع الشرور، وهو القاهر لكل من قاومه في كل الأمور.



## القاعدة الحادية والسبعون:

في اشتمال كثير من ألفاظ القرآن على جوامع المعاني.

اعلم أن ما مضى من القواعد السابقة هي المقصود في وضع هذا الكتاب، وهو بيان الطرق والمسالك التي ترجع إليها كثير من الآيات، وأنها وإن تنوّعت ألفاظها، واحتلّت أسلوبها، فإنّها ترجع إلى أصلٍ واحدٍ، وقاعدة كليّة.

وأما نفس ألفاظ القرآن الكريم، فإنّ كثيراً منها من الألفاظ الجوامع، وهي من أعظم الأدلة على أنها تنزيل من حكيم حميد، وعلى صدق من أعطى جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصاراً؛ ولنمثل لهذا النوع أمثلة، ونذكر أنموذجاً منه: فمنها قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَأَ فَلِنَفْسِهِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِنَفْسِهِ وَزِيادةً﴾ [يونس: ٢٦]، ﴿مَلْ جَرَاءُ الْإِخْسَنِ إِلَّا الْإِخْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، ﴿وَالسَّيِّقُونَ أَسَيِّقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْمَعْدُلِ وَإِلَخْسَنِ﴾ الآية [النحل: ٩٠]، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْقَوْمَيْنَ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْمُدْوَنَ﴾ [المائدة: ٢]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَلِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْكِمَنَّهُ حَيَّةً طَيْبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُ أَجْرَهُمْ بِإِحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٨ [الزلزلة: ٨-٧]، ﴿وَمَا قُنِدُوا لَأَنْفُسِكُمْ فَنِنْ خَيْرٍ يَحْدُوْهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَنْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمول: ٢٠]، ﴿إِنَّمَا يُوْقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ﴿يَتَأْمِنُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَ كُثُرٌ فَاسِقُّ بَنِيٌّ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى﴾

يَنْهِمُ» [الشوري: ٣٨]، «وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ» [آل عمران: ١٥٩]، «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا» [يونس: ٤٤]، «يَوْمَ تَجْدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ تُحْصِرُهُ وَمَا عَمِلَتْ مِنْ شُوُّرٍ» الآية [آل عمران: ٣٠]، «وَالصَّلْحُ خَيْرٌ» [النساء: ١٢٨]، «إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ» [يونس: ٨١]، «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ» [البقرة: ٢٠٥]، «يَوْمَ لَا تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ لِنَفْسِ شَيْئًا» [الأنفطار: ١٩]، «فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» [الجن: ١٨]، «فَلَا يَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا» [البقرة: ٢٢]، «أَلَا لِلَّهِ الَّذِينَ الْخَالِصُونَ» [الزمر: ٣]، «فَاقْنُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ» [التغابن: ١٦]، «إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا أَسْتَطَعْتُ» [هود: ٨٨]، «وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بِيَتْكُمْ» [البقرة: ٢٣٧]، «وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ» [الأعراف: ٨٥]، «فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ» [هود: ١١٢]، «وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» [هود: ١١٥]، «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَنُنَّ السَّيِّئَاتِ» [هود: ١١٤]، «كَذَلِكَ لِنَصْرَفَ عَنَّهُ الشَّوَّهَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ» [يوسف: ٢٤]، «إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» [الصفات: ٨٠]، «وَالَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصِّلَ» الآيات [الرعد: ٢١]، «وَجَرَّأُوا سَيِّئَةً مِثْلَهَا» [الشوري: ٤٠]، «وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ» [النحل: ١٢٦]، «فَمَنْ أَعْنَدَى عَيْنَكُمْ فَاعْنَدُوا عَيْنَهُ بِمِثْلِ مَا أَعْنَدَى عَيْنَكُمْ» [البقرة: ١٩٤]، «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰقِي هِيَ أَقْوَمُ» [الإسراء: ٩]، «وَمَا كَانَ مُعَذِّبِينَ حَقَّ نَبَغَتْ رَسُولًا» [الإسراء: ١٥]، «مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَيِّلٍ» [التوبه: ٩١]، «وَيُحِلُّ لَهُمُ الظَّيْنَتْ وَيُحِرِّمُ عَلَيْهِمُ الْجَنَاحَ» [الأعراف: ١٥٧]، «فَمَنْ عَفَكَ وَأَصْلَحَ فَاجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» [الشوري: ٤٠]، «وَالْبَيْنَتُ الْقَبْلَحُثْ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا» [الكهف: ٤٦]، «وَخَيْرٌ مَرَدًا» [مريم: ٧٦]، «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْفُسْرَ» [البقرة: ١٨٥]، «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ»

[الحج: ٧٨]، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]،  
 ﴿وَلَا يَأْتُونَكُمْ بِمِثْلِ إِلَّا جِنَاحَكُمْ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ قَسْيَرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]،  
 ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُشْوَعُ حَسَنَةً﴾ [الأحزاب: ٢١]، ﴿وَمَا أَنْتُمْ  
 الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْهَوْهُ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ  
 أَنْ تُؤْذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ  
 وَالْمُؤْمِنَاتِ يُغَيِّرُ مَا أَخْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنَّا وَإِنَّمَا مُبَيِّنَاتِ﴾ [الأحزاب:  
 ٥٨]، ﴿وَأَعِذُّوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ إِنْ قُوَّةً﴾ [الأنفال: ٦٠].

فهذه الآيات الكريمة وما أشبهها، كل كلمة منها قاعدة، وأصل كبير، تحتوي على معانٍ كثيرة وقد تقدم في أثناء القواعد منها شيء كثير، وهي متيسرة على حافظ القرآن، المعتني بمعرفة معانيه، والله الحمد.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وقد يسر الله ما من علينا  
 بجمعه، فجاء والله الحمد على اختصاره ووجازته ووضوحه كتاباً يُسر  
 الناظرين، ويعين على فهم كلام رب العالمين، ويبدي لأهل البصائر  
 والعلم من المأخذ، والمسالك، والطرق والأصول النافعة؛ ما لا يجده  
 مجموعاً في محل واحد، ومختبراً الكتاب يغني عن وصفه، وأسئلته تعالى  
 أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، مقرراً لديه في جنات النعيم، وأن ينفع  
 به مؤلفه، وقارئه، والناظر فيه، وجميع المسلمين بمئنه وكرمه، وجوده  
 وإحسانه، وهو خير الراحمين، وصلى الله على محمد، وعلى آله  
 وأصحابه الطيبين الطاهرين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال ذلك وكتبه جامعه العبد الفقير إلى الله في كل أحواله:  
 عبد الرحمن بن ناصر العبد الله السعدي، وقد تم ذلك في ٦ شوال  
 سنة ١٣٦٥هـ، والحمد لله أولاً وآخرأ، ظاهراً وباطناً.